تحكم على هذه الاية بانها منسوخة وقال ابو عبيدة في معنى الاية ان السكر الطعم يقال هذا سكر لك اي طعم لك وقال غيره
السكر ما سد الجوع من قولهم سكرت النهر اي سددته والتمر والزبيب مما يسد الجوع وهذا شرح قول ابي عبيدة ان
السكر الطعم ان في ذلك يعني ان الذي ذكر من انعامه على عبيده لاية يعني لدلالة وحجة واضحة لقوم يعقلون يعني
ان من كان عاقلا استدل بهذه الاية على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وعلم بالضرورة ان لهذه الاشيا خالقا قادرا مدبرا
قادرا على ما يريد قوله تعالى واوحى ربك الى النحل لما ذكر الله تعالى دلايل قدرته وعجايب صنعته الدالة
على وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرث ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب فذكر
هذه الاية اخراج العسل الذي جعله شفا للناس من دابة ضعيفة وهي النحلة فقال تعالى واوحى ربك الى النحل
الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكر يستدل به على كمال قدرة الله
ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشيا مدبر لها بلطيف حكمته وقدرته واصل الوحي الاشارة للشريعة وذلك يكون
بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال للكلمة الالهية التي يلقيها الله الى انبيايه وحي
والى اوليايه الهام واما تسخيرها لما خلق له ومنه قوله واوحى ربك الى النحل يعني انه سخرها لما خلقها له والهمها رشدها
وقدرها في نفسها هذه الاعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلا من البشر وذلك ان النحل تبني بيوتا على شكل مسدس من اضلاع
متساوية لا تزيد ولا تنقص بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة او مثلثة او مربعة او غير ذلك من
الاشكال لكان فيما بينها خلل ولما حصل المقصود فالهمها الله تعالى ان تبنيها على هذا الشكل المسدس الذي لا
يحصل فيه خلل وفرجة خالية ضايعة والهمها الله ايضا ان يجعلوا عليهم اميرا كبيرا نافذ الحكم فيهم وهم يطيعونه
ويمتثلون امره ويكون هذا الامير اكبرهم جثة واعظمهم خلقة ويسمى يعسوب النحل يعني ملكهم هذا احكاه
الجوهري والهمها الله تعالى ان يجعلوا على كل باب خلية بوابا لا يمكن غير اهلها من الدخول اليها والهمها ايضا انها تخرج
من بيوتها تدور وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة
الدالة على مزيد الذكا والفطنة دل ذلك على الالهام الالهي فكان ذلك شبيهة بالوحي فلذلك قال الله تعالى
واوحى ربك الى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر ايضا قال الزجاج يجوز ان يكون هذا الحيوان نحلا
لان الله تعالى نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها يعني اعطاهم وقال غيره النحل يذكر ويونث وهي مونثة
في لغة الحجاز ولذا انثها الله تعالى فقال ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون يعني يبنون
ويسقفون وذلك ان النحل منه وحشي وهو الذي يسكن الجبال والشجر ويأوي الكهوف ومنه اهلي وهو الذي
يأوي البيوت وتربيه الناس عندهم وقد جرت العادة ان الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تأوي اليها وقال
ابن زيد اراد بالذي يعرشون الكروم ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك يعني الطرق التي الهمك الله ان
تسلكيها وتدخلي فيها لاجل طلب الثمرات ذللا قيل انها نعت للسبل يعني انها مذللة لك الطرق مسهلة لك مسالكها قال
مجاهد لا يتوعر عليها مكان تسلكه وقيل الذلل نعت للنحل يعني انها مذللة مسخرة لاربابها مطيعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من
مكان الى مكان اخر حيث شاوا وارادوا ولا تستعصي عليهم يخرج من بطونها يعني العسل شراب مختلف الوانه يعني ما بين ابيض واحمر واصفر
وغير ذلك من انواع العسل وذلك على قدر ما تاكل من الثمار والازهار ويستحيل في بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج
من افواهها يسيل كاللعاب وذكر الامام فخر الدين الرازي انه راى في بعض كتب الطب ان العسل طل من السما ينزل كالترنجبين فيقع
على الازهار واوراق الشجر فتجمعه النحلة فتاكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لانفسها لتتغذى به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الاجزا
بطلبه شي كثير فذلك هو العسل وايضا فانا نشاهد ان النحل يتغذى بالعسل ولهذا اخبر قوله تعالى يخرج من بطونها يعني من افواهها
وقول اهل الظاهر اوضح لانا نشاهد انه يوجد في طعم العسل طعم تلك الازهار التي تاكلها النحل فلذلك

يوجد

يوجد لونها وريحها وطعمها فيه ايضا فيعضد هذا قول بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لما اكلت مغافير قال لا
قالت فما هذا الريح الذي اجده منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحلة العرفط العرفط شجر الطلح وله
صمغ يقال له المغافير كريهة الريح فمعنى جرست نحلة العرفط اكلت ورعت من العرفط الذي له الرايحة الكريهة
فثبت بهذا الدليل صحة قول اهل الظاهر من المفسرين وانه يوجد في طعم العسل ولونه وريحه لا ما قاله الاطبا
من انه طل لانه لو كان طلا لكان على لون واحد وقولهم ان طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجبين فيه نظر
لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة وهو الطف من السكر ومزاج العسل حار يابس في المرة الثانية فبينهما
فرق كثير وقوله كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فيه نظر لان لفظ البطن اذا اطلق لم يرد به الا العضو المعروف
مثل بطن الانسان وغيره والله اعلم وقوله تعالى فيه يعني في الشراب الذي يخرج من بطون النحل شفا للناس
وهذا قول ابن عباس وابن مسعود اذ الضمير في قوله شفا للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا في هذا الشفا
هل هو على العموم من كل مرض او على الخصوص لمرض دون مرض على قولين احدهما ان العسل فيه شفا من كل داء
والقران شفا من كل دا لما في الصدور وفي رواية اخرى عنه عليكم بالشفايين القران والعسل وروى نافع
عن ابن عمر رضي الله عنهما ما كانت تخرج به قرحة ولا شي الا لطخ الموضع بالعسل ويقرا يخرج من بطونها شراب مختلف
الوانه فيه شفا للناس ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي استطلق
بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاءه فقال اني سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا
فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرى وقد اعترض بعض الملحدين ومن في قلبه مرض على هذا
الحديث فقال ان الاطبا مجمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال فنقول في الرد على هذا المعترض
الملحد الجاهل بعلم الطب ان الاسهال يحصل من انواع كثيرة منها الاسهال الحادث من التخم والهيضات وقد اجمع الاطبا
في مثل هذا على ان علاجه بان تترك الطبيعة وعلاجها وفعلها وان احتاجت الى معين على الاسهال اعين ما دامت القوة
باقية فاما حبسها فضرر عندهم واستعجال المرض فيحتمل ان يكون هذا الاسهال لهذا الشخص المذكور في الحديث اصابه
الاسهال من مرض امتلا وهيضة فدواه تركه انتفاله على ما هو عليه او تقويته فامره رسول الله صلى الله عليه
وسلم بشرب العسل فزاده اسهالا وزاده عسلا الى ان فنيت المادة فوقف الاسهال ويكون الذي كان به موافقة
شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار في صناعة الطب
وان المعترض عليه جاهل بها ولسنا نقصد الاظهار لتصديق الحديث بقول الاطبا بل لو كذبوه لكذبناهم وكفرناهم
بذلك وانما ذكرنا هذا الجواب الجاري على صناعة الطب دفعا لهذا المعترض وانه لا يحسن صناعة الطب التي اعترض
بها والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك يحتمل انه صلى الله عليه وسلم علم بهذا الوحي
الالهي ان العسل الذي امره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال عندهم قال صدق الله يعني
فيما وعد به من ان فيه شفا وكذب بطن اخيك يعني باستعجالهم للشفا في اول مرة والله اعلم بمراده واسرار
رسوله صلى الله عليه وسلم فان قالوا كيف يكون شفا للناس وهو يضر باصحاب الصفرا ويهيج الحرارة
ويضر باكتساب المحرور قلنا في الجواب عن هذا الاعتراض ايضا ان قوله فيه شفا للناس وهو يضر باصحاب
الصفرا ويهيج الحرارة ويخرج مخرج الاغلب فيه شفا ولم يقل انه شفا لكل الناس ولكل دا ولكنه في
الجملة دوا وان نفعه اكثر من مضرته وقل معجون من المعاجين الا وتمامه به والاشربة المتخذة من العسل
نافعة لاصحاب البلغم والشيوخ المبرودين ومنافعه كثيرة جدا والقول الثاني انه شفا للاوجاع التي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)